

# شجرة القمر

على قمة من جبال الشمال كساها الصنوبر  
وغلّفها أفق مجليّ وجوّ مُعْتَبِرٌ  
وترسو الفراشات عند ذراها لتقضي المساء  
وعند بنايبعها تستحم نجوم السماء  
هنالك كان يعيش غلام بعيد الجبال  
إذا جاع يأكل ضوء النجوم ولون الجبال  
ويشرب عطر الصنوبر والياسمين الحُضِل  
ويملأ أفكاره من شذى الزنبق المنفعل  
وكان غلاماً غريب الرؤى غامض الذكريات  
وكان يطارد عطر الربى وصدى الاغنيات  
وكانت خلاصة احلامه أن يصيد القمر  
ويودعه قفصاً من ندىّ وشذى وزهر  
وكان يقضي المساء يحوك الشباك ويحلم  
يوسّده عُشْبٌ باردٌ عند نبع مغمغم  
ويسهر يرمق وادي المساء ووجه القمر  
وقد عكسته مياه غدير برودٍ عَطِيرٌ  
وما كان يغفو إذا لم يمرّ الضياء اللذيذ  
على شفتيه ويسقيه إغماء كأس نبيذ  
وما كان يشرب من منبع الماء... إلا إذا  
أراق الهلال عليه غلائل سكري الشذى

وفي ذات صيفٍ تسلل هذا الغلام مساء  
خفيف الخطى، عاريّ القدمين، مشوق الدماء  
وسار وتبدأ وتبدأ الى قمة شاهقه  
وخبياً هيكله في حمى دوحه باسقه  
وراح يعدّ الثواني بقلب يدقّ .. يدقّ ..  
وينتظر القمر العذب والليل نشوانٍ طلق  
وفي لحظة رفع الشرق أستاره المعتمه  
ولاح الجبين اللجينيّ والفتنة الملمهه



وكان قريباً ، ولم يرَ صيادنا الباسما  
على التلّ ، فانساب يذرع أفنق الدجى حالما  
... فطوّقه العاشقُ الجليلُ ومسَّ جبينه  
وقبلَ أهدابهُ الذائباتِ شذى وليونه  
وعاد به ببحار الضياء ، بكأس النعموه  
بتلك الشفاه التي شعلت كل رؤيا قديمه  
وأخفاه في كوخه لا يملّ إليه النظر  
أذلك حلّمٌ؟ وكيف وقد صاد .. صاد القمر  
وأرقده في مهاد عبيرية الرونق  
وكلّله بالأغاني ، بعينيه ، بالزنبق

- ٣ -

وفي القرية الجليليّة ، في حلقات السمر  
وفي كل غابٍ تنادى المنادون : « أين القمر؟ »  
« وأين أشعته الخملية في مرجنا ؟ »  
« وأين غلائله السحبيّة في حقلنا ؟ »  
« ونادت صبايا الجبال جميعاً : « نريد القمر ! »  
فرددت القنن السامقات : « نريد القمر ! »  
« مُسامرنا الذهبيُّ وساقى صدى زهرنا »  
« وساكب عطر السنابل والورد في شعرنا »  
« مُقبّل كل الجراح وعاصرُ لون الورد »  
« وناقل شوق الفراش لينبوع ماءٍ برود »  
« يضيء الطريق إلى كل حلّم بعيد القرار »  
« ويُنمي جدائلنا ويريق عليها النضار »  
« ومن أين تبرد أهدابنا إن فقدنا القمر ؟ »  
« ومن ذا يرقق أحناننا؟ من يغذي السمر ؟ »  
ولحنُ الرعاة تردّد في وحشة مُضنيه  
فضجّت برجع النشيد العرائش والأودية  
وثاروا وساروا إلى حيث يسكن ذاك الغلامُ  
ودقوا على الباب في ثورةٍ ولظى واضطرام  
وجتّوا جنوناً ، ولم يبقَ فوق المراقي حجرٌ  
ولا صخرةٌ لم يعيدا الصراخ : « نريد القمر »

وطاف الصدى بجناحيه حول الجبال وطارُ  
إلى عربات النجوم وحيث ينام النهار  
وأشربَ من ناره كل كأس لزهرة فلّ  
وأيقظ كل عبيرٍ غريب ، وقطرةٍ طلّ  
وجمّع من سكرات الطبيعة صوت احتجاجٍ  
تردد عند عريش الغلام وراء السياج  
وهزّ السكونَ وصاح : « لماذا سرقت القمر؟ »  
فجنّ المساءُ ونادى : « وأين خبأت القمر؟ »

- ٤ -

وفي الكوخ كان الغلام يقيم الأسير الضحوك  
ويُمطره بالدموع ويصرخ « لن يأخذوك ! »  
وكان هُتاف الرعاة يشق إليه السكون  
فيستقط من روحه في هُوىٍ شرسات الجنون  
وراح يصلّي لمعبوده في أسمى وانفعال  
ويخلط بالدمع والملح تسبيحهُ للجبال  
ولكن صوت الجماهير زاد جنوناً وثورة  
وعاد يقلّب حلّم الغلام على حدّ شفره  
ويهبط في سمعه كالرصاص ثقيل المرور  
ويهدم ما شيّدته خيالاته من قصور  
وأين سيهرب ؟ أين يجيء هذا الجبين ؟  
ويحميه من سورة الشوق في عين الصائدين ؟  
وفي أي شيء يلفّ أشعته يا سماء ؟  
وأصواؤه تتحدّى الخبايا في كبرياء !  
ومرّت دقائقُ منفعلاتٍ وقلبُ الغلامُ  
تمزّقه مدية الشكّ في حيرةٍ وظلام  
وجاء بفأس وراح يشقّ الثرى في ضجّرٍ  
ليدفن هذا الأسير الجميل .. وأين المفر ؟  
وراح يودعه في اختناقٍ ويغسل لونه  
بدمعه ، ويصب على حظه الف لونه

- ٥ -

وحين استطاع الرعاة الملحون هدمَ الجدارِ  
وتحطيم بوابة الكوخ في تعبٍ وانبهار

تدفق تيارهم في هياج عنيف وتقمه  
 فماذا رأوا؟ أي يأس عميق وأية صدمه!  
 فلا شيء في الكوخ غير السكون وغير الظلم  
 وأما الغلام؟ فقد نام مستغرقاً في حلم  
 جدائله الشقر منسدلات على كتفيه  
 وطيف ابتسام تلكاً يحلم في شفتيه  
 ووجه كأن أبولون شرببه بالوضاء  
 وإغفاءة هي سر الصفاء ومعنى البراء  
 وحر الرعاة... أيسرق هذا البريء القمر؟  
 ألم يخطئوا الاتهام ترى؟ ثم... أين القمر؟  
 وعادوا حيارى لأكوأخهم يسألون الظلام  
 عن القمر العبقري: أتاه وراء الغمام؟  
 أم اختطفته السعالى وأخفته خلف الغيوم  
 وراحت تكسره لتغذي ضياء النجوم؟  
 أم ابتلع البحر جبهته البضة الزنبيقية  
 وأخفاه في قلعة من لآلى بيض تقيه؟  
 أم الريح لم يبق طول التنقل من خفتها  
 سوى مزق خلفات فأخفته في كهفها  
 لتضع خفتين من جلده اللين اللين  
 وأشرطة من سناه ليهكلها الزنبيقي؟

- ٦ -

وجاء الصباح بليل الخطى قمرى البرود  
 يتوج جبهته العسقية عقد ورود  
 يجوب الفضاء وفي كفته دورق من جمال  
 يرش الندى والبرودة والضوء فوق الجبال  
 ومر على طرفي قدّميه بكوخ الغلام  
 ورش عليه الضياء وقطر الندى والسلام  
 وراح يسير وينجز أعماله في السفوح  
 يوزع الوانس ويشيع الرضى والوضوح  
 وهب الغلام من النوم منتعشاً في انتشاء  
 فماذا رأى؟ يا ندى! يا شذى! يا رؤى! يا سماء!

هنالك في الساحة الطحلبية حيث الصباح  
 يعود ألا يرى غير عُشب رعته الرياح  
 هنالك كانت تقوم وتمتد في الجو صدره  
 جدائلها كسيت خضرة خصبه اللون ثره  
 رعاها المساء وغذت شذاها شفاء القمر  
 وأرضعها ضوءه الخففي في التراب العطر  
 وأشرب أغصانها الناعمات رجيق شذاه  
 وصب على لونها فضة عصرت من سناه  
 وأثارها؟ أي لون غريب واي ابتكار  
 لقد حار فيها ضياء النجوم وغار النهار  
 وجت بها الشجرات المقلدة الجامدة  
 فنذ عصور وأثارها لم تزل واحدة  
 فمن أي أرض خيالية رضعت؟ أي تربة  
 سقتها الجمال المفضض؟ أي ينابيع عذبة؟  
 وأية معجزة لم يصلها خيال الشجر  
 جميعاً؟ فمن كل عُصن طري تدلى قمر  
 ... ..  
 ... ..  
 ومرت عصور وما عاد أهل القرى يذكرون  
 حياة الغلام الغريب الرؤى العبقري الجنون  
 وحتى الجبال طوت ذكره وتناست خطاه  
 وأقاربه وأناشيدته وأندفاع مناه  
 وكيف أعاد لأهل القرى الواهين القمر  
 وأطلقه في السماء كما كان دون مقر  
 يجوب الفضاء وينثر فيه الندى والبروده  
 وشبه ضباب تحدر من أمسيات بعيده  
 وهمساً كأصداء نبع تفجر في عمق كهف  
 يؤكد أن الغلام وقصته.. حلم صيف..  
 ... ..

### نازك الملائكة

حاشية الخطوط الاساسية في القصة التي تصورها هذه  
 القصيدة مقتبسة عن اصل انكليزي ضاع في ذاكرتي منذ  
 سنين. على ان القصيدة ليست ترجمة عن أي شيء، وكل ما  
 فيها من تفاصيل ومشاهد ورموز لي أنا ولا وجود له في الأصل.  
 [ن.م.]